٣ — الضرورة حاجة دراسية للنحاة ، ولا ضرورة فى لغة الشعر

لفهم الموضوع من وجهة النظر الحديثة ينبغى بيان الآتى :

* لا ضرورة فى لغة الشعر
* الرأى فى نظر النحاة للضرورة وما ترتب عليه فى الدراسة .

فى رأى المحدثين أن الاعتراف للشعر بتفرد لغته عن النثر هو الضرورة العلمية التى تتفق معه فناً وشكلا .

لهذا ، كان من الضرورى إفراد لغة الشعر بدراسة مستقلة قد تتفق نتائجها مع لغة النثر أو تفترق عنها ، مع مراعاة عرف الشعراء وحدهم فى هذه الدراسة ، فما شاع استعماله بين الشعراء ينبغى ملاحظته بهذه الصفة ، وما تفرد فى هذا الاستعمال وصف أيضاً دون حكم عليه بشذوذ أو ضرورة .

والخلاصة أن دراسة لغة الشعر وحدها لا حاجة فيها إلى ما أطلق عليه النحاة « الضرورة » ، إذ تندرج مظاهرها تحت خصائص الشعر كما تعرف عليه أهله ، وليس فى ذلك ضرورة !!

إن الضرورة التى وصم النحاة بها الشعر العربى كانت حاجة لهم فى تطبيق القواعد ، واعترافهم بها — على أنها رخصة أو خطأ — روعى فيه القواعد النحوية لا الشعر ، وقد كثر استخدامهم لها كثرة فائقة ، واتخذت أحياناً وسيلة يعتمد عليها لتأييد الآراء أو الطعن فى الآراء المخالفة ، هذا إلى مسلكها الأصلى فى الخروج عن القواعد المطردة .

وقد فتحت (شرح الأشمونى — ج ٣ — باب الترخيم) وأحصيت ما ورد من نصوص شعرية وآراء وصفت بالضرورة نصاً أو بما يؤدى معناها ، فبلغت سبع مرات فى هذا الباب الصغير فقط .